

رومانسي يعزف على أنغام رئاسة الجمهورية

عزالدين ميهوبي

جزائري يرسم قدره بخط غامض



● الجزائريون الذين يعرفون ميهوبي حق المعرفة لم يتوقعوا أن يترشح للرئاسيات، ولكن الخطوط التي رسمها لنفسه منذ بدايات وعيه، تدل على أن طموحاته للمنصب غدتها الفرص وغياب "الرموز".



● ميهوبي يدرك جيدا، بحكم علاقته بالمشعبية، حاجة السلطة إلى رجل مثله. وما هو أمامهم بشحمه ولحمه وعظمه، طبع، وخدم، وفي الصفوف الإمامية دوما من أجل الحكم.

الإساءة إلى الشخص والعائلة ككل، وما هو اليوم رغم كل هذا الهجوم الكاسح الضاري العنيف سواء أكان أصحابه على حق أو على باطل، يعود أقوى من ذي قبل آمينا عاما بالنيابة للجمع الوطني الديمقراطي، وترشحا باسمه للانتخابات الرئاسية المزعم تنظيها في شهر ديسمبر.

لا أحد ممن يعرف ميهوبي حق المعرفة توقع أن يترشح للرئاسيات، ولكن كل الدلائل واضحة وكل الخطوط التي رسمها لنفسه منذ بدايات وعيه والنضالي في السياسة والثقافة، تدل على أن طموحاته للمنصب غدتها الفرص، والحظوظ، والفرغات، وغياب "الرموز" التي يقال إنها متمنعة عن الخوض في الرئاسيات حتى لا تكون عودة للحراك.

رئيس بقعة عاطفية

أمن الكثيرون أن الحملات التي شنت ضد ميهوبي كفيلا برويته مكبلا بالأغلال والأصفاد ومقادا إلى السجن، ولم يصدقوا أنه في لحظة خاطفة غدا آمينا عاما بالنيابة للجمع الوطني الديمقراطي ثاني أقوى حزب في البلاد بل مترشحا باسمه للرئاسيات. وقد تحدث المفاجأة وهي ليست مستحيلة في بلد مازال الشكل يعتقد أنه بلد المعجزات والبطولات الخارقة والإنجازات الخرافية. ليست مستحيلة في عرف وتخطيطات ورسومات ميهوبي فقد كان يقول دوما إنه يدين للسلطة للموقع الذي وصل إليه في منظومة الحكم، وأن الجزائر بلد أعطاه الفرصة لتلو الفرصة وقد أحسن استغلالها والاستفادة منها، وحين ينظر إلى مساره الذي كان يمكن أن يكون مختلفا لو أنه اختار أن يدرس البيطرة في المجر أو أن يستكمل دراسته في جوبا عاصمة جنوب أفريقيا بعد أن نال شهادة البكالوريا، فقد يتغير مصيره كلية وما تلك ببعبدة عن اليد العليا للسلطة الحقيقية.

عالم الصحافة يعود إليه الفضل في تعرف ميهوبي إلى أكثر الرجال نفوذا داخل النظام الجزائري، كالجنرال العربي بلخير، ورئيس الحزب الحاكم الأوجد آنذاك الشريف مساعديه، ورئيس الحكومة الأسبق مولود حمروش وغيرهم

خط واحد طويل وعريض بهي وجميل ومتعرج ومتفنن في رسمه وغماض. ذلك هو خط الشاعر والوزير الأسبق عز الدين ميهوبي طوحت به الدنيا في معارج السلطة بقي وقبا لها، وربما كافات على حسن الإصغاء والطاعة رئيسا شاعرا أو الرئيس الشاعر، أو أنهت أحلامه وقضت على طموحاته إلى الأبد.

الدولة بأموال فائضة بفضل طفرات أسعار البترول، تبين في ما بعد أنها نهبت وضاعت بالسرقة المقتننة، والإختلاسات المسنورة، والتحويلات الغامضة لمشاريع قبل إنها لفائدة المجتمع ولكنها لم تترك إلا النزر القليل على الأرض.

وظهرت الكلمة السحرية المضللة "التشفي" لتجاوز العقبات، والعراقيل، ولتبرير الواقع المفروض، وقد كان ميهوبي أفضل ناطق رسمي لها، ومهللا بها، وبعنا برسائلا، فهو يعرف جيدا لمن توجه، ومن سيطلقها بصدر رحب وبإتسامة عريضة، ولكن ظهر أن أول ضحايا هذه الكلمة هو القطاع الثقافي "المغبون" الذي كما قلنا كالجح وناضل واستعمل ما أمكن له من قوة ورباط الخيل والمعارف والأصدقاء والمتنفذين الذين افواههم في الأذان التي لا تسمع إلا ما تريد أن تسمعه، ليجلس أخيرا على كرسي لطالما خطط له ورسمه أبعاده.

جلب هذا الجلوس لميهوبي عداوات وخصومات وقطائع وشائعات وحقائق وقيل وقال ومنكرات وسيئات، وصوبت نحوه نيران صديقة وسهام من كل صوب وحذب، وغدا بين ليلة وضحاها العدو رقم واحد للثقافة، وكان يتلقى كل هذا صابرا، ومستحيا للضربات، مطمئنا، راضيا، خجولا، صامتا وهادئا. وحتى لما نظم في مرات عديدة ندوات صحافية للرد أو للشرح، كان يقابل الجدل والأسئلة الخطيرة والمشككة في نزاهته وإدارته للوزارة، ويجب بارحية وسكون ودم بارد، وكل ما قدمه من حجج وبراهين و"تنصلات" ودفعات لم تنفع في صد الهجوم والاثام، حتى تشك أن الرجل مخلوق من طين وتراب بل من حديد وصلب.

هو يعرف جيدا بحكم علاقته بالمشعبية وفهمه لواقع السلطة التي يليق بها رجل مثله ولا يههما "تكسار الراس" في البحث عن رجل آخر، فهو أمامهم بشحمه ولحمه وعظمه، طبع، وخدم، وفي الصفوف الإمامية دوما من أجل السلطة أو الحكم، يعرف ميهوبي أن كل هذه الزوابع التي عصفت ومارالت تعصف به، بمحيطه، وبتحركاته، وسكانته، زوابع لم تسقطه ولم تخرب عليه أحلامه، ولم تهتم سقف طموحاته، حتى لو بلغت درجات

قطاع واسع من المثقفين والكتاب والفنانين بهذا التعيين وقيل: أخيرا جاء للقطاع ابن حقيقي للقطاع منهم وإليهم، يعرفهم ويعرفونه، وستعرف الثقافة نقلة نوعية كبيرة ستمحو سنوات وزراء آخرين مروا وتركوا السلب والإيجاب في صحراء الثقافة الواسعة.

التشفي والعداء للثقافة

كان أول ما تلفظ به ميهوبي عندما استوزر، في كل ندوة أو لقاء أو جلسات عمل هو لفظة "التشفي" حتى غدت لصيقة به وحده دون غيره من الوزراء، وهي لفظة جاءت وطبعت آخر مراحل حكم بوتفليقة قبل أن يعزل في 22 فبراير، فبعد أن شجعت خزائن

للجبهة حزبا سمي بـ"الجمع الوطني الديمقراطي"، وكان ميهوبي من أوائل مؤسسيه ومناضليه وفاعليه. حولته مكانته في الحزب من لوج أبواب التلفزيون الجزائري في أهم مديرية به؛ مديرية الأخبار، حيث استدعي من طرف الرئيس اليمين زروال أحد قادة حزب الجمع الوطني الديمقراطي، وأسدي له تعليمات بضرورة إدخال إصلاحات عميقة على التلفزيون وبالضبط هذه المديرية التي تعنى بالأخبار خاصة الأخبار الأمنية المتعلقة بالإرهاب آنذاك والتي كانت متضاربة وخطيرة ومشككة في كل شيء، من الأرقام إلى عدد الضحايا، إلى حقيقة ما حدث وما يحدث، فضبها مع جهات مختصة بالامر، واحتلت المعلومة الأمنية الرسمية عناوين النشرات ومواضيعها، ورسم وخطط واطلق العديد من الحصص والبرامج المتنوعة؛ سياسية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية ورياضية؛ أبيض وأسود، وضاف، ورحالة، واليوم الثامن، وعلى التماس.

أنا في الخدمة أولا

في كل هذا كانت الأحلام والطموحات تتعاظم في عقله وروحه، وأصبح ميهوبي في كل محفل حاضرا ليلفت انتباه وإشارات أرباب الجزائر "أنا في الخدمة دوما"، ثم "لا تنسوني من فضلكم" مثلما يتهمك عليه خصومه، وطاقرا في أجواء الكتابة، فكتب في كل شيء: الرياضة، السياسة، الملاحم، المسرحيات، المسلسلات، الأفلام، الرواية، وطبع في الشعر عموديا أو حرا أو نثريا، حتى تساءل الكثيرون عن القدرة الخارقة التي يمتلكها لكتابة كل هذا؟ وكم يلزمه من الوقت؛ وكيف يكتب ضمن مسؤوليات باتت تطرق بابها المفتوح دوما على كل ما يأتي من السلطة؟

ومن مدير للأخبار إلى مدير للإذاعة إلى كاتب دولة مكلف بالاتصال إلى مدير للمكتبة الوطنية إلى آخر منصب رسمي تولاه وزيراً ولي مفاتيح قصر الثقافة في زمن متوتر ومشحون بالتحولات والتجاذبات والولاءات في أعلى هرم السلطة، استبشر

تقول مراجعه دخل بعد نيله البكالوريا مدرسة الفنون الجميلة، فقد كان مهووسا بالخط العربي بجماله ودقته وحسنه وتوليقاته. فهندس لنفسه خطوطا تثرى بعمق في كل مسار حياته، ثم كرس تحصيله العلمي في المدرسة الوطنية للإدارة، مخبر ومجمع تكوين إطرار تسير الدولة، ثم انخرط خطه إلى الصحافة حيث الاحتكاك بعالم الكتابة والمشاهير والفنانين والسياسيين. سمح له ذلك العالم بالتعرف والتقرب من أكثر الرجال نفوذا داخل النظام كالجنرال العربي بلخير، ورئيس الحزب الحاكم الأوجد آنذاك في الجزائر الشريف مساعديه، ورئيس الحكومة الأسبق مولود حمروش، والمناضل والمجاهد عبد الحميد مهري، والعديد من أصحاب التيار الإسلامي كالشيخ محفوظ نوحان رئيس حركة مجتمع السلم المعروف باختصار حمس، ناهيك عن مشاهير الرياضة الكبار كالملاك العالمي محمد علي كلاي ولاعب كرة القدم الشهير المكسيكي كامبوس والجزائري واكاشا وغيرهم.

كأن ميهوبي شبكة علاقات واسعة خاصة مع مسؤولي دول الخليج، كان ذلك بعد مسؤوليات عدة ومناصب كبيرة في الدولة والتنظيمات والأحزاب والاتحادات، وبعد تجارب إعلامية قادته أولا إلى رأس جريدة "الشعب" الجريدة العريقة التقليدية الناطقة باسم النظام والسلطة، أين حاول تجديد روحها ونفسها وهيكليتها لتتماشى والثورة الإعلامية المستقلة التي شهدتها تلك الفترة الجريئة من عمر البلد، ولكنه اصطدم بتيارات محافظة متكلسة ومتجذرة لا تقبل التطور والتجديد، فعاقد وقاوم وتحدى، وفتح الجريدة لمن لا صوت لهم معارضين أو منقدين للنظام، وهو ما خلق متاعب جملة له انتهت بمحاكمته وسجنه.

الرياضة طريق الزعامة

أسس ميهوبي أول جريدة رياضية في الجزائر "صدى الملاعب" التي كانت ملاذه وملجاء وصوته الآخر المرغوم بالرياضة. كرة القدم على وجه الخصوص، ومثلما تقفن في رسم الخطوط وهندستها، تقفن أيضا في إجراء الصورات ونقل كل ما يتعلق بالرياضة في الداخل والخارج. مجتمع فائق لكل أنواع الزهو والمرح والتسلية، فالأزمة الاقتصادية اشتدت، وسبل العيش الكريم أصبحت منعقدة، ولم تنبثق إلا الرياضة خاصة كرة القدم المتنفس الوحيد للثرات المنتخبة بهواء الضيق والقنوط.

لم تغادر رأس ميهوبي متعلقات السلطة التي بدأ يحس بتغلغل نسائتها داخل روحه، خاصة أنه ناضل في حزب جبهة التحرير الوطني، وعرف عن قرب أهم الفاعلين والشخصيات القوية في الدولة، قبل أن يغادره مثله مثل العديد من مناضلي الجبهة الذين أندكروا أن عهد الحزب الحاكم بدأ يأفل، وبدأ النظام يتخلى عنه شيئا فشيئا، فتلقوا الإشارة بالانسحاب، وأسوا من الضلع الأوج

أبو بكر زمال
كاتب جزائري

صبور كالجمل. واجه عواصف تدمر وتهد الجبال. تلقى الضربات تلو الضربات من لندن، شاعرا كان أو مناضلا أو مسؤولا أو وزيرا. تغير وبدل وغيرته الأحوال والمناصب كما يقول أقربهم إليه مودة. قرب إليه الخلان والمعارف، وأبعد الأحاب والذين ساروا معه في الضراء والسراء، فتح أبوابه دوما للكل، ولكنه كان يلقها بمجرد أن يغادروا عتبة المباني التي استوطنها طوال مسيرته.



السلطة لا تغادر رأس ميهوبي وهي التي اعتاد أن يحس بتغلغل نسائتها داخل روحه، خاصة وأنه ناضل في حزب جبهة التحرير الوطني، وعرف عن قرب أهم الفاعلين والشخصيات القوية في الدولة، قبل أن يغادره مثل العديد من مناضلي الجبهة الذين أندكروا أن عهد الحزب الحاكم بدأ يأفل

قطع عز الدين ميهوبي كل تاوليل عن موقعه كشاعر ووزير سابق في عرين السلطة، فقال في أحد حواراته إنه "متكف السلطة ويفتخر"، وبذلك وضع حدا لكثير من التاويلات والحروب التي كانت تخاض ضده في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي وصالونات التنمية و"الهدرة" الكثيرة وثرثرات الشعراء والكتاب، فهو عكس الكثيرين ممن يوصفون بالنخب المنقطة تراهم ركعا سجدا بالخفاء وفي السر يعبدون السلطة على عجل ويتمسحون باعنائها، فهو عكسهم وضع الموقف وكشف الامر.

سيرة متصاعدة

لم يكن والد ميهوبي يتوسم فيه أي نبوغ أو "فهامة" أو ذكاء خارق. أدخله إلى المدرسة في سن التاسعة. كانت تلك ظروف العوائل الفقيرة والمعدمة التي عاشت ضنك العيش وقسوته بعد الاستقلال، حيث لم يكن الأطفال مثلا يتعلمون الأحذية إلا في سن الثامنة أو التاسعة وهو الحال التي كان عليها، حتى أنه لم ينعم برؤية التلفزيون إلا متأخرا جدا، وعندما نال الشهادة الابتدائية لم يصدق والده، وبدل أن يكافئه مثلما يفعل أي أب حين يسمع بنجاح أبنائه تلقى منه صغعة باردة بقيت عالقة في مهب حياته التي بدأ يشق لها الطريق ويرسمه خطوة خطوة منذ تلك اللحظة إلى حيث هو اليوم. تكاد تكون سيرة ميهوبي سيرة مخططا لها ومرسومة بدقة، فهو كما